

## الواقعية الطبيعية

### نشأة المذهب وتطوره:

أصل الكلمة (الطبيعة) لاتيني ويعني الطبيعة وهو مذهب ادبي ظهر في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر في اوربا ثم انتقل منها بعد ذلك إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

والكلمة اصطلاح فلسفي قديم يعني المادية ابو الدنيوية.

ويتميز هذا المذهب بالدقة في تصوير الواقع وبتحديد طبع الانسان ومصيره تحديدا دقيقا وهذا يعني ان المذهب شديد الولاء للطبيعة.

س/ في اي بلد نشأت ؟ ومن هم روادها؟

ج/كانت فرنسا المهد الاول لنشوئه وتحديد مفهومه وخصوصا بعد ان انتهى إلى (أميل زولا) الذي صار الأب الشرعي له منذ نشر مقدمه الطبيعة الثانية لرواية (تيريز راكان) عام ١٩٦٨ بل صار منذ ذلك الحين رائد الرواية التجريبية العلمية دون منازع.

وقد أورد (برونيتير) في كتابه (الرواية الطبيعية) سنة ١٨٨٣ مجموعة من الاسماء على انهم من رواد هذا المذهب أمثال فلوبيير ودويبة وباسان وجورج اليوت فضلا عن زولا واذا كان هناك من سبق زولا من الاباء الذين ربطوا الادب بهذا الاتجاه العلمي مثل (شانفيلوري وديورانتى) فأنهم لم يستطيعوا اللحاق بمحاولته ولا الوصول الى مستواه الفني في معالجاته الروائية

س/ لما اطلق الكتاب حكما بأن البيعة هي مذهب زولا على الرغم من وجود كتاب سبقوه في ذلك ؟

ج/ جزم بعض الكتاب على ان الطبيعة هي مذهب زولا بما تتضمنه من معالجة عملية وتتطلبه من فلسفة مادية حتمية بينما كان سبقه من الواقعيين اقل وضوحا واتقانا في ولاءاتهم الفلسفية ولقد كتب زولا يقول لا اريد أن أقرر شأن بلزك كيف يجب ان يكون نظام الحياة البشرية ولا ان اكون سياسيا او فيلسوف او اخلاقيا ان اللوحة التي ارسمها تحليل بسيط لشريحة من الواقع كما هو.

س/ كيف وصف (فان تيغم) اللطبيعة ؟

ج/ يرى (فان تيغم) ان الطبيعية طريقة وتطور للواقعية وهي نتيجة طبيعية لحالة جديدة للتمدن

**س/ ما هي دعوات زولا في كتاباته لتطبيق مذهب الواقعية الطبيعية ؟**

ج/ دعا زولا في كتاباته الروائية والمسرحية الى محاكاة العلماء في مختبراتهم في النتائج والحقائق التي سعى الى كشفها كتاب القصة والمسرحية وقد أودع آراءه تلك في كتابه الذي أصدره عام ١٨٨٠ وهو (القصة التجريبية).

وربما كانت الدعوة إلى الطبيعة بأثر من الفلسفة التجريبية التي وضع مبادئها جون ستيوارت ميل والداعية إلى المعرفة المثمرة هي الحقائق وحدها وان العلوم التجريبية هي التي تمدنا بالمعارف اليقينية.

والطبيعية في الادب علي امعان شديد بالواقعية ولقد لجأ زولا في كتابة رواياته الى تجارب علم الطبيعة واخذ بقوانين علم الوراثة اذا عني بالمظهر الفسلجي لشخصه وادعى بان (الاخلاق والعواطف محكومة حكما حتميا بقوانين مناظرة لهذه القوانين التي تحرك البايولوجي والفسولوجي وتكون القصة من هنا ملحقة بالتاريخ الطبيعي والطب وتخضع كما يخضع هذان العلمان الى منهج مزدوج من الملاحظة والتجريب.

**س/ ما علاقة الواقعية الطبيعية بالواقعية النقدية ؟**

وإذا كانت الطبيعية قد ولدت في احضان الواقعية النقدية فأنها قد ادعت أنها الوريثة الشرعية لها.

والواقع ليس كذلك :لان العيوب التي رافقت هذا المذهب لا يمكن ان تحتسب على الواقعية التي استمدت صورها و موضوعاتها من كل الطبقات الاجتماعية وكانت تسلك في منهجها سلوكا لا يشين بالمواضع الخلقية كما هو الحال في الطبيعية لذلك شن معظم الكتاب حملتهم على ما رافقها من هبوط خلقي في مادة تجاربها التي انحدرت الى المستويات الدنيا من المجتمع.

وإذا كانت الطبيعية قد انتهت عند زولا مذهباً متكاملًا في ابعاده الفكرية والفنية فأن من الواجب القول ان الأخوين دي كونكور ادمون و جول قد سبقاه إلى هذه الدعوة حتى لقد عددهما بعض الكتاب مبتكرين لهذا المذهب في الادب الفرنسي ولقد نشأ هذا المذهب بتأثير مجموعة من العوامل يعود بعضها الى المؤثرات الفكرية

التي قاد فيها ديدرو منهجه العلوم التجريبية في الادب والتي سبق وان وضع مبادئها جون ستيوارت ميل.

اما الطبيب الفرنسي المشهور (كلود بر نار) فكان اكثر تأثيرا من كل هؤلاء في المذهب زولا فلقد لخص مبادئه العلمية التجريبية في كتابه (مدخل الى دراسة الطب التجريبي) ومن هذا الكتاب اخذ زولا منهجته المعروفة وطبقها على الحياة البشرية ترفده فيها قدرة فذة في الدقة والتحليل العميق.

**س/ يقول النقاد ان الطبيعية ليست سوى ثمرة من ثمرات التقدم العلمي ، وضح ذلك**

ج/ ان الطبيعة ليست سوى ثمرة من ثمرات هذا التقدم العلمي المطرد الذي استثمره زولا وزملاؤه لصالح الادب الروائي فكانت الملاحظة الدقيقة مكان التخيل الفني وكان الحس الحقيقي مكان الحس الانفعالي وتحول كل ذلك الى وضع ادبي يخضع لمستجدات التجربة المعيشية والمعاناة على السواء. ومن قبل ذلك كان لفلسفة (اوجست كونت) تأثيرها الفاعل في دفع الادب الى ميادين العلوم التجريبية.

ولقد كانت الصلة بين الادب وبين علم الوراثة التي وضع مبادئها (تين) في نظريته القائمة على تحقيق الصلة بين الادب من جهة وبين الوراثة والبيئة والزمان واحدة من العوامل التي تركت اثارها في المذهب الطبيعي ويعزي بعض الكتاب قيام هذا المذهب (في كل من القصة والمسرح الى ما فرضه قانون تنازع البقاء ومحاولة كل انسان ان يحيا حياة مادية اوسع ثراء و اكثر اغتناء من حياة غيره من اخوته في القطيع الانساني بل هو يتوسل دائما الى تلك الحياة بمص دماء هؤلاء الضعفاء عن طريق التجارة والصناعات الاحتكارية وتسخير العمال المساكين في المصانع والحقول وسوقهم اليها كما تساق الماشية لقاء دراهم لا تكاد تمسك عليهم رمقهم وهم يربطون بين تنازع البقاء على هذه الصورة وبين البيئة ولا سيما البيئة التي يسود فيها الافتراس الاحتكاري على هذا النحو وهو افتراس يخلق الفقر والمرض والجهل ويجعل من ابناء الطبقة الدنيا ذرية ضعافا لا يرثون عن اباؤهم وأمهاتهم إلا الضعف والأمراض والخبال.

**س/ ما هي مراحل تطور الواقعية الطبيعية ؟**

ج/لقد مرت الطبيعة بمراحل متباينة من تأسيسها الفعلي على يد زولا عام ١٨٨٦ وبلغت اوج قوتها في منتصف السبعينيات حيث اتخذت صيغتها النهائية.

وعلى الرغم من ان المشاكل السياسية والاجتماعية التي امت بفرنسا قد ساعدتها على رقد منهجها بالموضوعات الكثيرة التي تناسب اتجاهها العلمي إلا أن تناول كتابها للجوانب السلبية المنحطة التي تتعارض مع القيم الخلقية والمبادئ الانسانية الرفيعة قد حسر عنها الكثير من الإعجاب الذين بدأوا يتصيدون عيوبها واتجاهاتها الى الجوانب السلبية التي تعكسها النماذج المنحطة من المجتمع.

لكن تلك الموضوعات كانت وسيلة ناجحة لتطبيق منهجهم العلمي في الرواية والمسرحية خاصة ومكنهم ذلك من الغوص في اعماق مشاكل تلك الطبقة وتشريح طبيعتها في ظل منهجهم العلمي المعروف (وذلك اتجاهوا) في تصوير الإنسان إلى تحليل عوالمه الطبيعية والفيزيولوجية الجنسية فيه، وقد نجحوا كذلك في تصويرهم للعالم الفكري التافه، لهذا الإنسان ولغرائزه السافلة التي تلعب اكبر دور في كل تصرفاته ولكن ذلك قد أدى إلى قطع صلاتهم بالتيار الواقعي، فاسقطوا عن وجوههم أفتعة الواقعية وقالوا أن الطبيعة البشرية فاسدة بأصلها، فاتجهوا إلى تصوير الجوانب المظلمة والغريزية في هذه الطبيعة.

### اهم خصائص المذهب الطبيعي:

تميز المذهب الطبيعي بمجموعة من الخصائص التي ينفرد بها دون غيره من المذاهب:

١- وأولى هذه الخصائص، إدخال الطبيعيين في الأدب الطرق العلمية الخاصة

بالطبيعة وما يتصل بها من وسائل، تستعين بها على رقد منهجها العلمي في الوصول إلى تحقيق أهداف الواقعية.

ولقد قرر الطبيعيون وفي مقدمتهم زولا، تطبيق الطريقة العلمية الصارمة على الحياة الفكرية والعاطفية.

ومن هنا قال أصحابها، ان الطبيعة ليست حالة ثورية وفوضوية، ولكنها ثمرة تطور طبيعي، وهذا يعني أن مادة تجاربهم لا تخضع للملاحظة حسب، بل يجب ان تعرض على قوانين الطبيعة، وأولها التجربة.

٢- حلل الطبيعيون في أدبهم، عيوب المجتمع بالدقة التي يستعملها عالم الطبيعة، وذكروا أن وظيفة الأدب هي دراسة وكشف القوانين التي تخضع لها حياة الفرد، وهي القوانين الاجتماعية التي اعتمدها الواقعيون النقاد.

٣- وعني الطبيعيون بدراسة البيئة الاجتماعية منطلقين في ذلك من أيمانهم بتأثيرها في المجتمع، ومتأثرين بنظرية (تين) التي اسلفنا الحديث عنها، ولكنهم درسوا الجوانب الضيقة في الوسط الاجتماعي، والذي اقتصر على المنحط منه، مما صار هدفاً في انتقادهم، وربما كان هذا التصوير، وسيلة للكشف عن طبيعة أبطالهم ونماذجها السيئة التي وجدوها تشكل ظاهرة في المجتمع.

٤- ولقد اندفع الطبيعيون في وضع الصلة بين العلم وبين الأدب، بإدخالهم الطرق العلمية للمعرفة في مؤلفاتهم الأدبية، وبذلك حققوا في دراستهم الجانب التطبيقي، ومن هذه الطرق، المشاهدة والتأمل.

ومن هذا المنطق استنكروا أية دعوة وعظية وخلقية للأدب، واكتفوا بتصوير الحقائق وتحليلها.

٥- والطبيعة لا تعني الرجوع إلى الطبيعة واستلهاها أو محاكاتها، أو أن يترك الأديب لطبيعته يقول ما يشاء في أي قالب شاء، ولكنها تعني طريقة جديدة في معالجة الأدب، استمدت فكرتها من الروح العلمية التي سادت النصف الثاني من القرن التاسع.

٦- وفي نقدهم الأدبي، رفض الطبيعيون الفكرة القائلة بالإبداع والخلق واستعاضوا عنها بالوثائق الدقيقة في العمل الأدبي.

٧- كما رفضوا اختيار الموضوع الأدبي، إن كل موضوع يصلح في نظرهم مادة للتجربة الإبداعية، ولكن ذلك انحدر بهم إلى المستويات الرخيصة التي يرفضها الدين، ويأبأها العرف، وتشتمن منها النفس ويمجها الذوق السليم، وقد وجدت هذه الظاهرة في الأعوام الأخيرة من تاريخ هذا المذهب.

٨- لقد فرق الطبيعيون بين الملاحظة والتجربة، إذ الملاحظة عندهم، استخدام وسائل البحث لدراسة الظواهر الطبيعية كما هي دون تغيير، والتجربة، استخدام نفس الوسائل بقصد التغيير والتبديل، للوصول إلى غاية، ويرجع الفضل في هذا إلى (زولا) نفسه، الذي فرق أيضاً بين القصة التجريبية والعلم التجريبي.

ويرفض زولا كذلك أن يكون القاص مصوراً فحسب، إذ لا بد له من التأويل.

٩- ويرفض الطبيعيون، أن يضعوا لقصصهم نهايات واضحة، وكذلك يرفضون إظهار عواطفهم فهم حياديون انطباعيون موضوعيون يكتفون بعرض الحقائق عرضاً موضوعياً على المجتمع لينبهوا إلى أخطائها.

١٠- يسعى الطبيعيون، إلى تأكيد الإحساس بالحقيقة أكثر من سعيهم إلى تأكيد الإحساس بالجمال، ولم تعد الحقيقة المطلقة من أهدافهم بل الحقيقة النسبية فقط.

١١- والهدف من القصة التجريبية لديهم، هو معرفة الظواهر الإنسانية وما يتصل بها من نشاط عقلي وحسي، وبيان تأثير الوراثة والبيئة فيه، والكشف عما يؤول إليه ذلك النشاط.

س/ ما هي اهم الظواهر الفنية في القصة التجريبية ؟

ج/ اهم الظواهر الفنية التي تتميز بها القصة التجريبية الطبيعية، هي :

الوصف القصصي الذي يتناول الإنسان في دقائق حياته العامة والخاصة، كمأكله وملبسه وبيئته وقرينته وإقليمه.

١٢- والطبيعة لا تنحصر في أسلوب بلاغي معين بعينه، ولا تخضع لمزاج جماعة بذاتها، بل هي أدب مفتوح على جميع الجهود الشخصية، تعتمد على تطور العقلية البشرية وتبحث عن الوثائق التي تكشف عن إنسان ما.

١٣- ومن خصائص القصة الطبيعية، أنها غير شخصية بمعنى ان القاص ليس إلا كاتباً ناسخاً، لا يصدر احكاماً، ولا يستخلص نتائج، وبهذا تختفي شخصيته، ويحتفظ لنفسه بمواقفه مكتفياً بمجرد العرض، وهذا يعني أن عمل القاص ينحصر في تسجيل حركات الشخصيات، من غير أن يتدخل في تلك الحركات.

١٤- وفي المذهب الطبيعي، تتغلب الحقيقة على كل من العقل والتفكير، فالكاتب الواقعي، لا يعكس سوى الواقع، حتى لو تعارض مع العقل والتفكير.

لذلك كشفوا في رواياتهم، الحقيقة المجردة، كشفاً لا يحفل بالخجل أو الحياء أو التقاليد.

١٥- والفنان الطبيعي، يندمج في الطبيعة حتى يكون جزءاً منها، فلا يزخرفها كما يصنع الكاتب الرومانسي، ولا يجردها نحو الكمال، ونحو ما يجب أن يراها، كما يصنع الفنان المثالي، ولا يتلفها بكثرة التعليل والتحليل والتخريج، كما يصنع الفنان الواقعي.

### خصائص المسرح الطبيعي

كان للمذهب الطبيعي نشاط واسع في المسرح، ويعد (ابسن)، الرائد الأول لهذا المذهب في كتابه المسرح كما يتميز من كل كتاب المسرح الطبيعيين الذين انحدرت مسرحياتهم إلى حضيض الموضوعات الهابطة، التي لا تتقيد بدين أو عرف أو تقليد. لقد تناول (ابسن) في مسرحه الموضوعات العادية التي تزخر بها الحياة الاجتماعية وتابعه في ذلك العديد من تلامذته، الذين تأثروا بأفكاره ومنهجه.

لقد عني كتاب المسرح الطبيعيون، ومنهم زولا، عناية خاصة، بتصوير الجوانب السلبية المتدنية في شرائح معينة من المجتمع، تاركين الجوانب الأخرى العادية والطبيعية وبذلك لم يصفوا لنا إلا مستشفى، كل ما فيه مجانين، أو ناقصوا التكوين، أو منحرفون.

غير أن الذين قلدوا ابسن في الحوار وفي الأسلوب، وفي تصوير الشخصيات فشلوا، لأن أسلوبه في تصوير شخصياته، أسلوب تحليلي ينتهي دائماً إلى تعقيد القواعد، وهذا يختلف عن أسلوب الطبيعيين الذين لم يعنوا بالقواعد والقوانين في تصوير شخصياتهم، فهم ينقلون من الحياة صورة طبيعية صادقة بعيدة عن قيود الشرائع والآداب، والأعراف، ومسرحياتهم تصور شخصياتها عارية سافرة.

وكان كل همهم في مسرحياتهم، هو الصدق في النقل، بعيداً عن الاستنباط والتحليل وخالياً من الزخرفة، وكان من أهدافهم، ألا يتدخلوا في الصورة الواقعية، ولا يعلقوا عليها، ولا يضيفوا إليها، ولا ينقصوا منها، ولقد كان ابسن على عكس ذلك تماماً، كان مغرقاً بالتحليل والاستنباط ومغرقاً كذلك بالتفكير العميق.

- ولقد تابع كتاب المسرح الطبيعيون أستاذهم زولا في العناية في تصوير حياة الطبقة الدنيا، ونقلوا إلى الناس كل ما امتلأتن به تلك الحياة من تدن وفساد خلقي، ومن مروق على الشرائع والقوانين والأعراف والأصول، ولذلك كثرت في مسرحياتهم صور الإجرام والتهافت الأخلاقي والشذوذ والضعفة واللؤم والدنس والحب البهيمي والسلوك السائب.

ولقد أفادوا بأنهم هدفوا من وراء هذا كله، أن يضعوا الناس أمام مرآة الحقيقة التي فطرا عليها بصدق مكشوف، وصرحا بأن غرضهم من ذلك، هو أن يضعوا الصورة الطبيعية الصحيحة أمام المصلحين لتداركوا أخطارها ويعملوا على إصلاحها.

- وفي كتابتهم للمسرح، لا يكثر الطبيعيون من استدام عناصر الموضوع ويتسبون في استخدام العقدة والحركة والحيل المسرحية وزخرفها، ويعرضون عن الأحاديث الجانبية، ويقتصدون في استخدام القطع الطويلة والخطب المملة أو المؤثرة أو المفتعلة ويستعيضون عن ذلك بالحوار الطبيعي كيفما يكون هذا الحوار.

وغالباً ما يميلون إلى الحوار الخالي من التنميق الذي لا تربط بين أطرافه روابط الصنعة البلاغية، والتصنع الزائف، لذلك يكون الحوار لديهم عادياً بسيطاً مألوفاً كالذي يكون بين الناس.

ولا يعنون كذلك بسبك ذروة الموضوع في روايته، بل يؤثون ترك المشاهد في حيرة من أمر تلك الذروة وقصدوا في ذلك إلى أن يشركوا القارئ في حل العقدة، كما يشركوه في استجلاء ذرى المسرحية.

وكاتب المسرح الطبيعي يخاطب الناس بلهجاتهم الدارجة، فلغته بسيطة غاية البساطة، وقد يلجأ أحياناً إلى استخدام الكلمات النابية، والعبارات الفاحشة التي يتلفظ بها الناس في حياتهم الاعتيادية، فإذا فشل في كشف أعماق النفس، لجأ إلى الإشارات الفاضحة والغمزات واللمزات التي يستعملها أهل الطبقة الدنيا، للتنويه عن تلك الخلجات والأحاسيس وفي هذا يتفق الطبيعيون مع الرمزيين في استخدام التلميح بدلاً من التصريح.



أما من حيث الموضوع فيختار الكاتب الطبيعي موضوعات مسرحياته من أحداث العصر الطبيعية كما يحيها الناس، ويختار منها أكثرها قرباً من أمزجة الجمهور ويفضل اختيار ما يصور حياة رعاة الناس وأسافلهم، ليكشف عن ظروفهم ومصائبهم.

ويعلل الطبيعيون ذلك، بأنهم يهدفون إلى كشف العيوب لتجنبوا الزيف والرياء، كما يهدفون بها إلى الإصلاح- على حسب قولهم- وهم في ذلك يتفنون مع الوجوديين.

- ويصور الطبيعيون أبطال مسرحياتهم ضعافاً سلبين، يسهل قيادهم والتأثير فيهم، كما يعون بعالم الجريمة والأمراض، بوصفها نتيجة للظروف الاجتماعية والمرضية وظروف البيئة والوراثة، وقد أوصلهم هذا التشاؤم في نظرتهم إلى المجتمع البشري وإلى التشاؤم من مستقبل الإنسانية.

تلك كانت خصائص مذهبهم، لكن منهجهم وأفكارهم وسلوكهم، قد طبع الكثير منها بالطابع السلبي الذي دفع النقاد والكتاب إلى انتقادهم ورفض مواقفهم والطعن في أفكارهم ومنهجهم، مما جعل من بعض هذه الخصائص عيوباً، أهمها:

- أن تفسير مصير الإنسان من الزاوية الفسيولوجية، أفقده الكثير من عناصره الإنسانية، ذلك لأن الإنسان، بوصفه جزء من المجتمع البشري أقرب إلى العنصر الاجتماعي منه إلى العنصر الفسيولوجي.

- فهم الطبيعيون متطلبات (الدقة) و(العملية) في التصوير، فهماً ضيقاً وسادجاً وذلك بسبب تطبيقهم قوانين البيولوجيا في قصصهم، وأوصلهم هذا إلى عدم الالتزام بالطباع البشرية والأخلاق الاجتماعية، واستبدلوه بالقوانين الفسيولوجية، مما ابعدهم عن ميدان التحليل النفسي، الذي وجدناه لدى الواقعيين النقديين.

أما شعار (التصوير الصادق للواقع) فقد فهمه الطبيعيون، على أنه دعوة انسيابية سلبية سائبة، لمظاهر الحياة والكون، بعيداً عن الرؤية الانفعالية وبعيداً عن فهم قوانينها التي تحكمها وتحركها، ولذلك كانوا عاجزين عن التقويم الصحيح للحياة البشرية والطبيعة الإنسانية، التي لم يجدوا منها غير جوانبها المنحطة.

وعلى الرغم مما حققه الطبيعيون من تصوير عميق للجانب الذي صوروه من حياتهم في أدبهم، ومن رصدتهم لجوانبه المختلفة، إلا أنهم في تقديم الوجه الصحيح للإنسان، لأنهم صوروه من الزاوية الفسيولوجية فقط، ولهذا بدت وجوه الناس في قصصهم، متشابهة بتشابه الأوساط التي انحدرت منها، وفقدت الصورة الفردية للبطل وحرمت الإنسان من وجهه وطبعه الإنسان الصحيح، وعرض على أنه مجموعة من العقد النفسية خالياً من الإنسانية العميقة.

كما عجزوا عن تقديم النموذج الذي قدمه الواقعيون النقاد والاشتراكيون وفشلوا أيضاً في انتقاء مادة تجاربهم، إذ سيطرت الموضوعات المرضية غير الطبيعية على أدبهم، وخصوصاً موضوعات المتأخرين منهم، وفقدوا القدرة على التمييز بين ما هو مهم وما هو غير مهم، إذ قدموا الحدث العرضي على الحدث المستمر، والفردية على النموذجي والمزيف على الحدث الحياتي.

- أما البطل لديهم: فقد افتقر إلى (النموذجية) التي استطاعت الأنواع الواقعية الأخرى توفيرها، فغالباً ما يتعرض البطل في قصصهم إلى الهلاك المترتب عن العجز عن مقاومة الوسط الخارجي، بل وعن مقاومة تفاهات الحياة اليومية البسيطة، فالبطل تنتابه غالباً حالة تأملية ولا مبالاة اجتماعية ويرود مطلقاً أمام الخير والشر، مما يقربه من أبطال مؤلفات الانحطاطيين، وهنا تعد مسألة (البطل) عند الطبيعيين سبباً في انهيار الشخصية الأدبية المريضة التي تخضع لوسطها دون مقاومة.

- فضلاً عن تحطيم الشخصية الأدبية، في الرواية الطبيعية، فإن هذه الرواية كانت سبباً في إضعاف البناء الفني لها، فالسرد وتطور الأحداث اللذان عرفناهما في الرواية الواقعية، يختفيان أمام الوصف التفصيلي وتصبح الرواية خالية من الوحدة المتكاملة التي هي ضرورة في الرواية الفنية الناجحة.

- هذا فضلاً عن أن البطل، لم يعد في روايتهم، كياناً مهماً في مجتمعه بل صار عضواً طفيلياً تافهاً، لا يشغله من الحياة سوى الأمور الحقيرة والقضايا السطحية التي لا قيمة لها في الفن الإبداعي.

- ولقد أدى اعتماد الطبيعية على التجارب والأبحاث العلمية، وتعميم نتائجها، إلى اصطناع الحياة التي صورتها تلك القصص، كما أضفت سلوك البطل فيها لمقتضيات منهجها وأفكارها.

ولقد كان من نتائج ربط الأدب بالعلوم التجريبية، أنه فقد وظيفته الإنسانية لأن إقحام النظريات العلمية، في الكثير من أموره قد أفسد عليه أهدافه الحقيقية، ولقد انتهى منهج الطبيعيين بدبهم إلى اختيار الشواذ وغير الطبيعيين على حين تقف الوقت الواقعية عند العام والسائد والطبيعي.

### اعلام المذهب الطبيعي

زولا:

ولد (أميل زولا) في بلدة أيكس عام ١٨٤٠ واستقر منذ عام ١٨٥٨ في باريس بعد أن توفي والده المهندس المعماري، وكان لا يزال في مرحلة الطفولة.

وعانى منذ صباه شظف العيش وقاسى بؤس الحرمان، الذي اضطره إلى العمل والكفاح وهو صغير، وقادته الصدفة إلى العمل بوظيفة كتابية في دار للنشر، وقد أتاحت له أن ينشر أولى كتاباته، وكانت أقصوصة، واتبعها بأقاصيص وقصائد غزلية وأناشيد تأثرها بروح دانتي.

وتتوجت جهوده سنة ١٨٦٤ بنشر أول كتاب مطبوع له يحتوي على طائفة من أقاصيصه العاطفية المبكرة.

وقادته الصدفة إلى لقاء الأخوين (جونكور) سنة ١٨٦٨ اللذين اعجبا بمواهبه ولكنهما وجدا فيه قلقاً، وتشوقاً عميقاً، وقد كام لهذه المعرفة مغزاها في نفسه، فقد كان هذا الإخوان قد سبقاه إلى الطبيعية، وتأثر بنهجها ومن هنا كانت بدايته مع هذا الاتجاه الأدبي.

ومنذ وقتئذ بدأ يكتب سلسلة قصصية طبيعية مطبوعة بهذا الطابع العلمي، وواصل فيها نشاطه على مدى ثلاثين عاماً تناول فيها حياة أسرة فرنسية، صور أفرادها تصويراً صريحاً ومسهباً، متأثراً فيه بطريقة الأخوين (جونكور) التي أهم ما فيها اختفاء شخصية صاحبها اختفاء تاماً.

وقد تناول (زولا) في قصصه تلك، كل ما خطر على باله، وشاهده بنفسه من صور الحياة اليومية: الأسواق والمشارب والسكك الحديدية والمناجم وعالم الاقتصاد والمال، كما صور حرب ١٨٧٠، وحتى ترهات المعتقدات الدينية.

وقد هدف زولا من وراء ذلك إلى تصوير عصره تصويراً أميناً وكاملاً ولكنه قد فشل كما يرى ذلك الكتاب، ومنهم كتاب عصره، لأنه اقتصر على رذائل ذلك العصر ومخازيه وحالاته الشاذة والسلبية، حياة الأفاقين والعبيد واللصوص والعاهرات والسكارى والشاردين والمعلولين ومن لا أخلاق لهم من العمال والمزارعين، وسفلة البورجوازيين، والجنود الجبناء والوزراء المنهومين وأمثالهم.

لقد وعد زولا قراءه بعالم زاخر بالحيوية والحياة الصحيحة، لكنه قصر مهمته على المرضى والمجانين والغشاشين والفاستين.

ولكن هذا لم يقدح في قدرته الفذة على الكتابة والتصوير، لقد كان زولاً باتفاق الذين كتبوا عنه، خصب الإنتاج غزير العطاء.

ومع انه كان أكبر زعيم للمدرسة الطبيعية، فقد كانت له لفتات عاطفية لا تقل عن لفتات الرومانتيكيين.